

مدرسة الحج الإيمانية التربوية

فقد خرج المسلمون قريبا من مدرسة شهر رمضان التربوية ، والتي درسوا فيها الكثير من المبادئ العظيمة ، والأخلاق الكريمة ، واليوم يدخل المسلمون مدرسة أخرى من المدارس التربوية الإسلامية المباركة ، التي اختارها الله لهم ، وأتم بها عليهم نعمته ، وهي مدرسة الحج الإيمانية التربوية ، فيتعرفون فيها أيضا على بعض القيم الإيمانية والأصول الإسلامية ، والأخلاق الفاضلة ، ويربون أنفسهم عليها .

يتجلى لنا في مدرسة الحج الإيمانية التربوية معاني عظيمة ، ووقفات نافعة للمسلم في دينه ودنياه ، يمكن أن نتعرف عليها فيما يلي :

1- الإخلاص: فالحج فريضة تشع جوانبها بإخلاص العبادة لله رب العالمين ، وحده لا شريك ، وتنطق أركانها بإفراد الله عز وجل بأنواع القربات .

يقول الله تعالى: { وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود } [الحج:26] .

فانظر كيف بدأ أمر الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام بأن يترك الشرك بالله بكل صوره وأشكاله ، أي أمره بإخلاص العمل لله تعالى ، وأن يطهر بيته الحرام من كل أنواع الشرك صغيرا كان أو كبيرا هذا ما يدل عليه قوله { أن لا تشرك بي شيئا } .

وكذلك أول ما نطق به رسول الله ﷺ في هذا النسك هو الإخلاص ، ففي حديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم : « فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك» . وهو أول ما يعلن عنه الحاج في حجه أو عمرته .

ولما صلى الركعتين خلف المقام ، قرأ فيهما بـ (قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون) وهما سورتا التوحيد والإخلاص ، فسورة الإخلاص فيها التوحيد العلمي وسورة الكافرون فيها التوحيد العملي .

ولما رقى ﷺ على الصفا كبر الله ثلاثا ثم هلل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .



فهذه مواطن في الحج حقق فيها التوحيد وذكر نفسه والمسلمين به ، لأنه أعظم حقوق الله على عباده .

وهكذا فكل عبادة وطاعة من صلاة أو صدقة أو صيام أو ذبح لا بد أن تبني على الإخلاص حتى يقبلها الله تعالى ، فما لم يبن على الإخلاص لا يقبله الله من عبده ، بل هو مردود عليه ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : ” أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه ” رواه مسلم .

2- الطهارة : ومن المعاني العظيمة التي نستشعرها في الحج والعمرة : التطهر .

حيث يقول الله تعالى في هذا : {وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود} وما المقصود بالطهارة هنا ؟ هل هي طهارة البدن والثياب فقط ؟

لا أن المطلوب أكثر من ذلك .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: «وطهر بيتي» قال قتادة ومجاهد: من الشرك.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : الطهارة أنواع :

1- منها الطهارة من الكفر والفسوق، كما يراد بالنجاسة ضد ذلك ؛ كقوله تعالى { إنما المشركون نجس } [التوبة: 28].

2- ومنها: الطهارة من الحدث ، وضد هذه نجاسة الحدث.

3- ومنها: الطهارة من الأعيان الخبيثة التي هي نجسة. (مجموع الفتاوى 21/67، 68).

وهكذا قال العلماء في المراد من قوله تعالى: (وثيابك فطهر) [المدثر: 4] أن الآية تعم كل ما ذكره ابن تيمية سابقاً، من طهارة القلب، فطهارة الثوب والبدن ، فطيب المكسب ، فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة ، كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك ، ولذلك حرم الله ما حرم لحوم السباع وكذا جلود السباع ، لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات التي تؤكل لحومها أو تلبس جلودها ، فإن الملابس الظاهرة تسري إلى الباطن . [وانظر إغاثة اللهفان 1/69].

3- الاستجابة : ومن المعاني الجليلة المقصودة في مدرسة الحج الإيمانية التربوية : الاستجابة لله تعالى بفعل الأوامر وترك النواهي والزواجر .



فقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بدعوة الناس إلى الحج ، فقال له : {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق } (الحج: 27 .) فاستجاب إبراهيم عليه السلام لأمر الله تبارك وتعالى ، فنادى بذلك النداء الرباني ، واستجاب الناس لدعوة إبراهيم عليه السلام ، وكل من كتب الله له الحج ، فحجه أبناؤه وأحفاده من النبيين والمرسلين ، ثم من بعدهم من أنبياء الله ، ثم سائر الناس ، وما يزالون يستجيبون حتى الآن ، إلا من حرمة الله تعالى ذلك من هذا الفضل العظيم ، والكرم الواسع ، نعوذ بالله من ذلك.

ويقول الله تبارك وتعالى أمرا عباده بهذا الخلق وهذه الصفة : { يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون } [الأنفال: 24].

قال البخاري: «استجبوا» أجيبوا «لما يحييكم» لما يصلحكم.

وروي في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ، ثم أتيت ، فقال : «ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ؟! » ثم قال: « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج .. (الحديث).

4- الذكر : من مقاصد الحج العظيمة : ترسيخ عادة **ذكر الله تعالى** في الإنسان ، فيذكر الله تعالى دائما وعلى كل حال ، قاعدا وقائما وراكبا ، وكلما تحول من حال إلى حال ، وهو من مطالب الدين الجليلة في كل أمة ، كما قال تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهمكم إليه واحد فله أسلموا وبشر المخبتين) الحج : 34 .

وقال تعالى (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند **المشعر الحرام** واذكروه كما هداكم وأن كنتم من قبله لمن الضالين) البقرة : 198 .

وهذا في ذكر الله في الإفاضة من عرفة وفي مزدلفة بصلاة الفجر وغيرها ، بعد أن أمضى الحاج يومه في التهليل والدعاء في عرفات .

وقال سبحانه في الذكر عند رمي الجمار (واذكروا الله في أيام معلومات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) البقرة : 203 .

وقال في فراغهم من حجهم وعبادتهم (فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذاكركم آباءكم أو أشد ذكرا) البقرة : 200 .



أي : أن يستغفروا من التقصير الواقع في مناسكهم وذكرهم لربهم على الوجه المطلوب منهم .

وهكذا تتوالى النداءات الربانية بذكر الله تعالى خلال مناسك الحج المتنوعة ، حتى لا يكاد يخلو منها منسك ، بل قال ﷺ : ” أفضل الحج العج والثج ” رواه **الترمذي** وابن ماجة . والعج هو رفع الصوت بالتلبية .

5- الإنفاق في سبيل الله : ومن الخصال العظيمة التي يتعود عليها المسلم في حجه : بذل المال في سبيل الله تعالى .

فالمسلم الذي يأتي إلى الحج من كل فج عميق ، راكبًا الطائرة أو السيارة أو السفينة وغيرها ، يتكلف ويدفع المال لأجل القيام بهذا الركن الخامس من **أركان الإسلام** الذي لا يتم دينه إلا به ، وما الذي يدعوه إلى هذا الإنفاق في سبيل الله تعالى من أجل الحج إلى بيت الله عز وجل ؟! إلا طلب رضا الله تعالى ومغفرته والجنة .

ثم يجد التوجيهات الربانية الكثيرة التي تدفعه للإنفاق في سبيل الله : منها الأمر بذبح ” الهدي ” للقران والمتمتع ، وكذلك في الفدية لجبر القصور الحاصل في أداء المناسك ، وتوزيع تلك الذبائح على الفقراء والمساكين من أهل مكة وغيرهم ؛ كما قال تعالى : { فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير } [الحج:28] ، وقال { فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر } [الحج:36] .

6- الهداية : ومن المعاني العظيمة في مدرسة الحج الإيمانية التربوية : الشعور بالاصطفاء والهداية من بين سائر الناس ، وهي نعمة لا تقدر بثمن ، ولا تعادلها أي نعمة عاجلة

يقول الله تبارك وتعالى في هذه النعمة : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين) [البقرة:198] .

أي : اذكروا الله تعالى كما من عليكم بالهداية بعد الضلال ، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فإنها من أكبر النعم التي يجب شكرها بالقلب واللسان .

ويقول تبارك وتعالى : { لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين } [الحج:37] .

فمناسك الحج مظهر من مظاهر شكر الله تبارك وتعالى على هدايته لنا ، فربنا هو الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فله أكمل الثناء ، وأجل الحمد .



7- الإحسان: ومن المبادئ التي يتربى عليها المسلم في الحج : الإحسان ، الإحسان بكل أنواعه وصوره ، الإحسان في عبادة الخالق ، والإحسان إلى المخلوق ، فيعبد الله الخالق تعالى كأنه يراه ، فإن لم يصل إلى هذه الرتبة فليعبده معتقدا أنه يراه وقت عبادته ، فيؤدي نسكه وحجه وفق الهدي النبوي الثابت عنه ﷺ كما قال : ” خذوا عني مناسككم ” .

ويحسن كذلك لعباد الله بجميع وجوه الإحسان ، بأن ينفع الناس بماله وصدقاته ، وما يقدمه من الذبائح والهدايا والأضاحي ، كما قال تعالى { فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير } [الحج:28] ،

وكذلك يحسن لعباد الله بأن يعلم جاهلهم ، ويرشد ضالهم ، ويذكر غافلهم ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، كل ذلك بكلمة طيبة ، وموعظة حسنة ، ورفق ولين وعلم وحكمة .

وغيرها من المبادئ الجليلة التي تستفاد من هذا الركن المبارك.